

يَا إِخْوَتِي الْكِرَامِ،

يُوزَانُ الْمُسْلِمُونَ عَلاَقَاتِهِمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ - أَيِ الْخَشْيَةِ وَالْأَمَلِ. فَإِنَّهُمْ يَجْتَنِبُونَ الذُّنُوبَ خَشْيَةَ عَذَابِ اللَّهِ. وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ رَجَاءَ رَحْمَتِهِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ». قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي. فَقَالَ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ [يَعْنِي قَبِيلَ الْمَوْتِ] إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»¹

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ،

وَصَفَّ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهُمْ: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾² حَيْثُ يُوضِّحُ لَنَا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) رَسُولَهُ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشِرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾³. نَتَعَلَّمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْإِنْذَارَ وَالْوَعظَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَخْشَاهُ. وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْرُبَنَا مَخَافَةُ اللَّهِ أَنْ إِلَى الْيَأْسِ. فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَنَا وَهُوَ خَبِيرٌ بِكُلِّ أَحْوَالِنَا يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁴

يَا جَمَاعَتِي الْكَرِيمَةَ،

يَصِفُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَآيَاتٍ كَثِيرَةٍ أُخْرَى نَفْسَهُ بِأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَمَعَ أَنَّ رَحْمَتَهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَإِنَّهَا تَنْحَصِرُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَنْ فَازَ بِرِضَاهِ. قَدْ هَدَانَا اللَّهُ لِلْإِيمَانِ وَوَفَّقَنَا لِأَدَاءِ الْمَفْرُوضَاتِ وَمِنْهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

نَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى حَالِنَا هَذَا، وَنَأْمُلُ رَحْمَتَهُ. وَنَذْكُرُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ أَنَّ اللَّهَ عَادِلٌ، ذُو انْتِقَامٍ. فَالَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ أَوْ أَنْفُسَهُمْ بَارِتْكَابِ الْمَعَاصِي سَيَلْقَوْنَ عَذَابًا شَدِيدًا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ. لِذَا، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُهْمِلُ أَوْامِرَ اللَّهِ بِنَاءً عَلَى الْمَعْدِرَةِ الْمَشْهُورَةِ: "قَلْبِي طَاهِرٌ" وَلَا يَسْتَصْغِرُ الْمَعَاصِي وَلَا يَحْسَبُ نَفْسَهُ أَمِينًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. فَإِنَّ صَاحِبَ أَطْهَرَ الْقُلُوبِ، سَيِّدَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَطِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»⁵

يَا إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مَسْأَلَةٌ إِعْتِقَادِيَّةٌ. فَفُقْدَانُ التَّوَازُنِ فِيهَا يَضُرُّ إِيْمَانَنَا. وَصَحَّ عُلْمًاوْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِتَشْبِيهِهِمُ الْمُؤْمِنَ بِالطَّيْرِ. فَجَاحُ هَذَا الطَّيْرِ الْأَيْمَنُ يُمَثِّلُ مَخَافَةَ اللَّهِ، وَالْأَيْسَرُ الرَّجَاءَ، وَبَدَنُ الطَّيْرِ يُمَثِّلُ مَحَبَّةَ اللَّهِ. فَإِذَا فَقَدَ أَحَدٌ هَذِهِ، أَوْ نَقَصَتْ أَوْ زَادَتْ عَلَى الْأُخْرَى، فَإِنَّ الطَّيْرَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ، لَا سِيَّمَا الطَّيْرَانَ. يَقُولُ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْأَمْنُ وَالْإِيَّاسُ يَنْقُلَانِ عَنِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ يَنْهَمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ"⁶. لِذَا فَإِنَّا لَنْ نَحْسَبُ أَنْفُسَنَا نَاجِحِينَ فِي الْآخِرَةِ حَتَّى نَقُولَ "إِيْمَانُنَا سَيَدْخِلُنَا الْجَنَّةَ" كَمَا لَا نِيَّاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِسَبَبِ ذُنُوبِنَا.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَخَافُونَ عَذَابَكَ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ أَعْمَالَنَا، آمِينَ.



⁴ سورة البقرة: ٢١٨

⁵ صحيح مسلم، كتاب التوبة، ٢٣، رقم الحديث (٢٧٥٥)

⁶ الطَّحَاوِيُّ: عقيدة أهل السنة، المادَّة رقم (٦٩)

¹ جامع الترمذي، كتاب الجنائز، ١١، رقم الحديث (٩٨٣)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، رقم الحديث (٤٤٠٢).

² سورة السجدة: ١٦

³ سورة الأنعام: ٥١